رأي القدس

كأن التجويع لا يكفي

■ يبدو ان الحصار وعمليات التجويع ضد الشعب الفلسطيني لا يكفيان، ولا يشفيان غليل الاسرائيليين، ولهذا شاهدنا الطائرات الاسرائيلية ترتكب مجزرة جديدة في قطاع غزة، عندما اغارت على ما قالت انه معسكرات تدريب للجان المقاومة الشعبية وقتلت خمسة اشخاص.

استخدام تعبير معسكرات تدريب يأتي من قبيل التضليل وتزوير الحقائق، لتبرير هذه الجريمة البشعة. فالطائرات الاسرائيلية اغارت قبل ايام على «معسكر تدريب» مماثل وقتلت عائلة بكاملها، بينهم اطفال دون سن العاشرة. ولا يعقل ان يتدرب اطفال في السنوات الاولى من عمرهم على السلاح، او يتواجدوا في معسكرات تدريب.

حكومة ايهود اولمرت التي حصلت على ثقة الكنيست يوم امس الاول، ارادت من خلال هذه المجزرة ان تقدم اوراق اعتمادها الدموية الى الرأي العام الاسرائيلي بعد اقل من يوم واحد على توليها السلطة بشكل رسمي، لكي تعطي الانطباع بانها قوية صلبة تسير على نهج مؤسس «كاديما» اربيل شارون الذي يصارع الموت حاليا.

الشعب الفلسطيني في الاراضي العربية المحتلة يدفع ثمنا غاليا لتمسكه بثوابته وانتخاب حكومة وطنية ترفع راية المقاومة، وترفض عملية سلمية وهمية ترتكز على الاستيطان ونهب الثروات، وضم المقدسات، وبناء جدران الفصل العنصري، وحشر هذا الشعب في اقفاص الكانتونات.

وكالة الاونروا المسؤولة عن غوث اللاجئين حذرت يوم امس من كارثة وشيكة بسبب عدم صرف الرواتب لاكثر من مئة وخمسين الف موظف للشهر الثاني على التوالي، بينما استقال مبعوث اللجنة الرباعية وولفونسون احتجاجا على استخدام المساعدات المالية كسلاح لتركيع الشعب الفلسطيني وتجويعه.

الانظمة العربية تقف متفرجة، وبعضها ذهب الى ما هو ابعد من ذلك، اي توجيه دعوات لرئيس الوزراء الاسرائيلي الجديد لزيارة عواصمها، لاظهار كل انواع الحفاوة والترحيب بمقدمه.

السيد محمود عباس رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية هنأ اولمرت مرتين، في الاولى عندما فاز حزبه «كاديما» في الانتخابات التشريعية الاسرائيلية، والمرة الثانية عندما فازت حكومته بثقة الكنيست.

الحفاوة العربية الرسمية برئيس الوزراء الاسرائيلي الجديد الذي يعطي الاوامر لشن الغارات الدموية على الفلسطينيين في الضفة وغزة، تقابل بضغوط مكثفة على حكومة «حماس» من اجل الاعتراف بالدولة العبرية، والقبول بمبادرة السلام العربية.

الزعماء العرب يلقون المحاضرات المطولة على وزراء الحكومة الفلسطينية حول المرونة وقبول الامر الواقع، والتخلي عن المقاومة، والمبادرة بالاعتراف بالاعداء دون اي مقابل، بينما يكتفون باظهار كل انواع الاحترام والتقدير للمسؤولين الاسرائيليين الملطخة اياديهم بدماء الاطفال الابرياء في رفح وغزة وجنين ونابلس والخليل.

الشعب الفلسطيني يواجه عمليات الحصار الاسرائيلي ـ الامريكي، والخذلان الرسمي العربي، بالصبر والصمود، والتمسك بالثوابت، والتكافل الاجتماعي. وصحيح انه يعيش ازمة ولكنه يضع الآخرين، وخاصة الزعماء العرب في ازمة اكبر، لا نقول ازمة ضميرية، لان معظم هؤلاء ضميرهم مغيب، او حتى غير موجود، وانما يضعهم في ازمة مع شعوبهم صاحبة الضمير الوطني المشرف.

مكتب الجزيرة في القاهرة وشبح الإغلاق الذي يحوم حوله

محمد عبدالحكم دياب *

■ تعارف البعض على أن قناة «الجزيرة» أقامت علاقتها مع القاهرة الرسمية، إلى ما قبل اعتقال مدير مكتبها حسين عبد الغني، على مبدأ شبيه بمبدأ معاوية بن أبي سفيان في تعامله مع رعيته، ولخصه في قوله الشهير: «لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، إذا شدوها أرخيت، وإذا أرخوها شددت»، ويبدو أنها كانت تتصور أنه مبدأ يصلح مع «حالة حكم» مستسلمة بالكامل لقوى انعزالية هيمنت واستولت على البلد بما فيه.. وكان سلاحها، وما زال، شيفونية مقيتة، واستكبارا لعينا، وتعاليا جهولا، على خلق الله من العرب، الأشقاء وأبناء العمومة والجيرة.. تمارس ذلك وهي تتبع واشنطن ولندن وتل أبيب، وتتسابق إلى خدمتهم، وكان أن اشتد نكالها بشعبها وأمتها، وأوردها هذا مورد التهلكة، وأوصلها إلى ما هي فيه من حصار وعزلة وسقوط، ولأن «حالة الحكم» تدنت إلى ما دون الانحطاط، ودخلت مرحلة الموت، فإن هذه القوى، وهي تشهد ما آل إليه حكم راهنت عليه. تجد أن بديلا له غير متوفر بين صفوفها. وحتى رهانها على بديل يأتي مفروضا من الخارج أصبح متعسرا، مما زاد موقفها تعقيدا وأزماتها تفاقما، فرعاة البديل الخارجي وجدوا سادتهم متورطين في وحل فلسطين، أو غارقين في مستنقع العراق، أو أسرى رمال أفغانستان المتحركة.. لا يستطيعون انتشال أحد، وهم أنفسهم في حاجة إلى من ينتشلهم.

و«حالة حكم» مصر، التي أفقدت هذا البلد العريق دوره وفعاليته وقوته، تظهر وكأنها كمن «يستجير من الرمضاء بالنار»، بأن صنعت كل ما جعل كل ما حولها ينهار ويترنح، وهو ما أصاب الطامحين والطامعين في الوراثة بالجنون، بعد أن سيطر عليهم الفزع وهم يشاهدون الإجماع الشعبي على رفضها ومقاومة أطماعها، وحين يرتبط الجنون بالفزع، تكثر الضربات العشوائية، التي تطال الجميع، في كل اتجاه، وعلى جميع الجبهات في وقت واحد، ولا يبقى من القوة إلا مظهرها الغاشم، الذي يذهب العقول، ويدفع بقايا العقلاء، إن كان قد بقي منهم أحد، إلى الفرار من مواقع المسؤولية. وأخطر ما يواجه «عائلة مبارك» هو «جنون الفزع»، الذي يجعل سقوطها مدويا. فالمفزوع يغدو كالأعمى، يوجه ضرباته إلى نفسه، وهو يتصور أنه يسددها إلى خصمه وعدوه، وعندما يكون العدو بحجم شعب تكون الطامة كبرى.

هذا هو السياق الذي نرى من خلاله ما حدث مع قناة «الجزيرة» ومدير مكتبها في القاهرة، فما حدث يبين أن المصابين بجنون الفزع صاروا بلا غطاء يستر العورة أو يواري سوءة نظام مات وتفوح منه رائحة العفن. وهذا حصيلة طبيعية للنهج الذي اتبعوه مع أجهزة الإعلام والصحافة داخل مصر. وقام على قاعدة «قولوا واكتبوا ما تشاؤون ونحن نفعل ما نريد»!!. ولم يتحسبوا للحظة يتحول فيها نوع القول، ولا يستمر من ذلك الذي «ليس عليه جمرك»، كما يقول المثل اللبناني، أو لحظة توقف الكتابة من أن تكون نقشا على الماء بلا أثر، فتحفر لنفسها مجرى عميقا في صدور المستضعفين وأفئدتهم وعقولهم.. والقول تحول إلى فعل غطى مصر من أقصاها إلى أقصاها، والكتابة صارت مشاعل اهتدى بها شعب تصوروه راضخا مذعنا، وكان في حقيقته يبحث عن طريق ومخرج، ووجد ضالته في الفعل الإيجابي. وكان رد فعل شياطين «السافاك» المصري، مزيدا من السياط تلهب الظهور، التي تحملت الكثير، وتحولت إلى جسور للعبور إلى الكرامة والحرية، ووفرة القيود التي تكسرت على صخرة الإرادة وقوة العزم، وبهما واجهوا ترسانة الحديد والنار لجلادين يحاربون معركتهم الأخيرة، وجحافل بلطجية خائفين من المصير المجهول، عندما تسقط «العائلة» أو ترحل أو تهرب. كانت ذروة السقوط مجسدة في ذلك المشهد السادي وضباط الأمن يسحلون قاضيا لأنه تجرأ والتقط صورا للتوحش الأمني بهاتفه المحمول، وكان ذلك على مرأى ومسمع وكالات الأنباء ومراسلي الصحف والفضائيات العربية والأجنبية.

ورغم شعرة معاوية التي ربطت قناة «الجزيرة» بـ«عائلة مبارك»، طوال السنوات العشر الماضية، وهي عمر القناة ذاتها، رغم ذلك مرت العلاقة بفترات توتر مكتوم، أفصح عن نفسه أحيانا بشكل أو بآخر. وفي وقت انحنى فيه عدد من القادة العرب أمام العاصفة الإعلامية التي هبت مع بث «الجزيرة»، فنجد معمر القذافي سعى إلى عرض آرائه وأفكاره على شاشتها بامتنان، والعربية السعودية، وهي التي تعتبر نجاح «الجزيرة» جاء خصما من رصيدها، وعلى حساب دورها، وهز من صورتها، وقد وصل التوتر بين السعودية ودولة قطر حد القطيعة بسبب «الجزيرة» ولا غيرها. ومع ذلك رأت في المنافسة حلا، فأنشأت قناة موازية، كسلاح لها في المواجهات الإعلامية. وحتى الإدارة الأمريكية، شديدة العداء للجزيرة، بنفس المنطق، أطلقت قناة «الحرة» للدفاع عن وجهة النظر الرسمية الأمريكية. وحتى البلدان التي لم ترفي «الجزيرة» خطرا، ولم تكن على خصومة معها دخلت مضمار المنافسة كذلك، منها من نجح ومنها من يحاول، هكذا رأينا فضائيات أبو ظبي ودبي، وبعض فضائيات لبنان، إلا إعلام «الريادة» المصري، استمرمعاندا راكبا رأسه، ولولا المسلسلات ما وجد التليفزيون المصري من يشاهده!!.

والعيب لا يعود لفقر في الكفاءات، أو لقلة في الكم والنوع، ولا لندرة في المواهب والقدرات، ولا لشح في الموارد أو الإمكانيات، إنما يعود إلى «النظام العائلي» الذي يعتمد في استمراره على تغييب العقل، ونشر الجهالة، ومصادرة الخيال، لهذا لم يتحمل بث برنامج «رئيس التحرير» من التليفزيون الحكومي أو الخاص، للإعلامي اللامع حمدي قنديل وعندما يصل به الجنون إلى أن يرى في نفسه القدرة على حجب كاتب بقامة محمد حسنين هيكل، ينتهي الأمر بأن يبقي حمدي قنديل لامعا، ويزداد هيكل تألقا وشموخا.

ويعكس قول حسني مبارك، أثناء زيارته الخاطفة لقطر، من سنوات، وهو يصف «الجزيرة»: «هي دي علبة الكبريت إللي قالبة الدنيا»!!. مستوى نظرته القاصرة لدور الإعلام والصحافة، وتعكس ما تعلمه من السادات، صاحب المدرسة التي تربط بين نجومية الصحافي أو الكاتب والعمل في بلاط الحكم. وبين مستواه وعائد ما يكسب من وظيفته التي يشغلها بين المداحين وحملة المباخر. وحين زار ميتران، الرئيس الفرنسي الراحل مصر، سأل عن هيكل، فرد السادات بأنه عزله.. بمعنى أن العزل أفقده قيمته ووزنه. وتفشى هذا الفهم، وتجاوز الحدود، في عهد حسني مبارك، وأدى إلى ظهور جيل من «الكتبة المخبرين»، الذين استعاضوا عن القلم بالسوط والعصا والرصاصة، وعن الفكرة والرأي بتوجيه التهم الجاهزة والقضايا الملفقة، وانتشر هؤلاء كالجراد في الصحف «القومية» والقنوات الحكومية، وأضحى الإعلام المصري رهين محبسي التفسير الأمني للأحداث، والتأويل العدواني للنوايا، فاضطلع رجال امن ولواءات الداخلية بالتحليل السياسي وفحص الرأي، ومن بين هؤلاء لواء شرطة وجه تهمة الخيانة إلى حسين عبد الغني، على الهواء مباشرة، في فضائية مصرية خاصة، أثناء تحليله وعرض رأيه!!

ورغم هذه الملابسات كثيرا ما استجابت «الجزيرة» للضغوط الرسمية المصرية، ففي فترة التوتر والحراك التي سبقت وصاحبت تعديل المادة 76 من الدستور العام الماضي. ذهب أسامة الباز، يحمل ما يشبه الإنذار من حسني مبارك، في 29 أيار (مايو) 2005، والتقى في الدوحة بأمير قطر وعدد من المسؤولين.. في محاولة لـ«إقناعهم بمراعاة «الظرف السياسي الدقيق الذي تمر به مصر، وبألا تتدخل «الجزيرة» في الأحداث الدائرة، ولو بمجرد المتابعة وفتح قنوات التعبير أمام المعارضين، خاصة من حركة كفاية»، وفي حضور المسئولين القطريين شن الباز هجوما على حركة «كفاية» وقال إنها تضر بالمجتمع المصري. وحصل على وعود «بالتدقيق في كل ما يتعلق بالشأن المصري».. وتقلصت مساحة البث الخاصة بمصر، وتوقفت «الجزيرة» عن دعوة عبد الباري عطوان لإبداء الرأي في أي شأن مصري!!. واحتفظت له بحقه في التعليق وإبداء الرأي في أي شأن آخر. إلا أن هذه الهدنة انتهت ببث برنامج «مع هيكل»، ونال مدير مكتبها بالقاهرة نصيبه من الاتهام بأنه ضالع في اقتراف هذا الفعل. بالإضافة إلى أن «الجزيرة» بثت، مؤخرا، مقاطع من قصيدة جديدة للشاعر أحمد فؤاد نجم عنوانها «يا عريسنا»، كتبها بمناسبة خطبة جمال مبارك، تأهيلا له لوراثة منصب الوالد، في أحد برامجها!!

والدفاع عن «الجزيرة» هو دفاع عن حق من حقوق الإنسان وهو «حق المعرفة»، ومع ذلك فرغم تفوقها واتساع تأثيرها فهناك أوجه نقد يتمثل بعضها في ذلك التباين في الموقف السياسي الرسمي للدولة القطرية، فهي من ناحية ترعى قناة تحملها ما فوق طاقتها، خاصة فيما يتعلق باستقرار علاقتها الإقليمية والدولية، ومن ناحية أخرى تسمح بوجود قيادة القوات العسكرية الأمريكية على أراضيها!! بجانب أن ما يقال عن شرط تعاملها مع المراسلين ومقدمي البرامج المصريين، يبدو فكاهيا، وضرورة تعطيش الجيم أصبحت مضحكة، وكأن الجيم غير المعطشة قاصرة على اللهجات المصرية، وهي في صلب لهجات قبائل في الجزيرة العربية واليمن، ولا يستطيع أحد أن يشكك في الأصول العربية لها، أو في عدم سلامة لغتها. فـ«الجزيرة»، بهذا الشرط تجعل المصريين العاملين فيها يبدون أقرب إلى الممثلين، في الأدوار التاريخية التقليدية، ويظهرهم على غير طبيعتهم، ويحد من غنى وثراء التنوع اللغوي المتاح بسبب تعدد ألوان النطق للعاملين فيها، والذي يعكس تنوع أقطارهم وبلدانهم وبيئاتهم، وإذا ما كان هذا صحيحا فإن هذا الشرط يمد، دون أن تدري «الجزيرة»، في الجسد الانعزالي، الذي يرعاه حسني مبارك و«موالية» بالماء والزاد، ويؤدي إلى إنجاح مخططه في تصوير الأشقاء العرب بأنهم يرفضون سماع اللغة العربية بلسان ومذاق مصري، محبب لدى قطاعات واسعة، ويضربون بـ«الجزيرة» نموذجا، وهذا غير صحيح، لكن فيه تعسف إذا ما رفع سوف يعلي من شأن «الجزيرة» ولا يقلل منه.

* كاتب من مصر يقيم في لندن

المرأة العراقية رهينة لدى قوات الاحتلال

هيفاء زنكنة *

■ اعتقلت قوات الاحتلال الامريكية الطبيبة سناء البدري، في ساعة متأخرة ليلة الثلاثاء الماضي في الضلوعية، الواقعة على بعد 40 كيلومترا شمالي بغداد، بعد يوم من اتهامها جنودا أمريكيين بسرقة مشغولات ذهبية قيمتها 4000 دولار أثناء تفتيش منزلها. وتم اطلاق سراح الدكتورة يوم الخميس اثر شيوع خبر الاعتقال بين اهالي المنطقة، واعلان زملائها في المركز الطبي الذي تعمل فيه اضرابهم عن العمل. وهذا الحادث شابه لاعتقال الشابة سارة طه الجميلي ، ابنة الفلوجة، في العام الماضي، لاتهامها من قبل القوات الامريكية بانها ابنة الزرقاوي، مع العلم بان والدها طه الجميلي سياسي معروف وانه كان موقوفا لدى قوات الاحتلال عندما اعتقلت سارة. واطلق سراحها بعد ان تظاهر السكان واعلنوا اضرابا عاما. ثم القي القبض عليها ثانية بتهمة كونها ارهابية، ولم يطلق سراحها الا بعد اعلان الاضراب من جديد واصدار منشورات تهدد قوات الاحتلال بعمليات انتقامية.

منذ غزو العراق في آذار (مارس) 2003، اعتقلت القوات الأجنبية، عشرات الآلاف من المواطنين، بدون توجيه الاتهام إليهم أو المحاكمة وبدون إعطائهم الحق في الطعن بشرعية اعتقالهم أمام هيئة قضائية. ولم تستثن الاعتقالات النساء.

ففي مسلسل الاعتقالات التعسفية الشامل القت قوات الاحتلال في ساعة متأخرة من ليلة الأول من أيار (مايو) الجاري القبض على زوجة المواطن صاحب عباس عنفوص وزوجة أخيه عند مداهمة منزلهم الواقع في حي الجهاد ببغداد. واعتقلت بتاريخ 23 نيسان (ابريل)، ثلاثة رجال وامرأة واحدة اثناء القيام بدورية قتالية قرب ابو غريب. وكانت المرأة، حسب ادعاء بيان القوات، تحاول اخفاء 50 رأسا تفجيريا تحت ملابسها. واذا ما تركنا جانبا صورة المرأة التي تمت مداهمة بيتها بالطريقة الوحشية والمهينة التي تتبعها قوات الاحتلال اثناء اعتقالها للمدنيين وقيامها بتحطيم كل ما هو موجود في البيوت واهانتها وترويعها للسكان، خاصة النساء والاطفال، وسرقتها للمال والمدخرات والمصوغات ، فضلا عن اجبار المرأة على مشاهدة مناظر الاهانة المتعمدة لزوجها او ابنها او والدها ، والطلب منها، احيانا، التقاط الصور لهم بكاميرات الجنود الامريكيين ، اذا ما تركنا ذلك كله جانبا ، هل بامكان أحد ان يصدق محاولة المرأة اخفاء 50 رأسا تفجيريا تحت ملابسها وهي المعرضة للتفتيش الجسدي الفوري من قبل جنود الاحتلال؟

غالبا ما تنكر سلطات الاحتلال الاجنبية والعراقية المتعاونة معها، اعتقال النساء او تنفي وجودهن في المعتقلات والمعسكرات المنتشرة في طول البلاد وعرضها مما يعني بالضرورة عدم تعرض المرأة الى التعذيب الذي يتعرض له الرجل والطفل ـ المعتقل في سجونها والمصنف لاغراض التضليل والتمويه كمعتقل أمني.

ويحتجز معظم «المحتجزين الأمنيين» في أربعة مرافق تخضع للسيطرة الأمريكية، وهي تحديداً معسكر بوكا الكائن بالقرب من البصرة، وسجن أبو غريب في بغداد، ومعسكر كروبر في بغداد وفورت سوسا بالقرب من السليمانية، والذي بدأ تشغيله في نهاية تشرين الأول (اكتوبر) 2005. وإضافة إلى ذلك، تحتجز القوات الأمريكية معتقلين بصورة مؤقتة في مرافق الاحتجاز التابعة لمختلف الألوية والفرق في شتى أنحاء البلاد. ويُحتجز عدد من «المعتقلين الأمنيين» لدى القوات البريطانية في مرفق الاعتقال الكائن في معسكر الشعيبة، بالقرب من البصرة.

ان الامثلة على اعتقال المرأة في العراق المحتل، وان حاولت سلطات الاحتلال الانكار طمسا للحقيقة وتفاديا للغضب الشعبي نظرا لمكانة المرأة ومانمثله في المجتمع، عديدة وموثقة من قبل المنظمات العالمية وبعض منظمات حقوق الانسان العراقية المستقلة في داخل العراق وخارجه فضلا عن شهادات عدد من المعتقلين والمعتقلات الذين اطلق سراحهم بعد توقيف طويل. كما ان امثلة الاهانة وسوء المعاملة والتعذيب متوفرة وموثقة من قبل المنظمات ذاتها. ويقوم موقع الرابطة العراقية iraqirabita.org بتوثيق بعض الحالات.

واسباب اعتقال النساء عديدة من بينها استخدام المرأة كرهينة لاجبار اقاربها من الرجال على تسليم انفسهم لسلطات الاحتلال او استخدامها كأداة ضغط او تهديد للاقارب من الرجال واجبارهم على الاعتراف بجرائم لم يرتكبوها او للاعتراف بانهم ارهابيون او كأسلوب للاذلال بشكل عام.

كما حدث للشابتين جيهان صبيح مصلح حمادي، 23 عاما وتحمل شهادة بكالوريوس آداب، واختها حنان صبيح مصلح حمادي، 26 عاما، وهي ربة بيت.

ففي الساعة الثالثة بعد منتصف ليلة الأحد 27 تشرين الثاني (نوفمبر)، داهمت قوة أمريكية بصحبة مترجم عراقي بيت الشابتين وامهما الارملة في حي البياع بمدينة بغداد. وكانت القوات الأمريكية تبحث عن قريب لهم، فلما لم يجدوه في المنزل قاموا بتكسير محتويات المنزل وسرقة مبلغ 370 دولارا والمصوغات الذهبية للنساء، واصطحاب الفتاتين معهما الى المعتقل كرهائن، للضغط على قريبهما المطلوب لتسليم نفسه. وقد أطلق سراح حنان بعد 26 يوما ، بينما بقيت جيهان في المعتقل الأمريكي لمدة 58 يوما.

كما تقوم سلطات الاحتلال باعتقال المرأة اذا ماحدث واحتجت على السلوك الشائن واللغة البذيئة الصادرة من القوات اثناء المداهمة. كما حدث للشابة ايمان سعد عبيد عطية الجبوري. وما الاعتقال التعسفي غير خطوة اولى في امتهان كرامة المرأة العراقية.

فقد أجرت منظمة العفو الدولية مقابلات مع معتقلين سابقين كانوا ضمن السجناء الذين تعرضوا للتعذيب وسوء المعاملة في أبو غريب. وكان بينهم نساء قلن إنهن تعرضن للضرب والتهديد بالاغتصاب وللمعاملة المهينة وللحبس الانفرادي فترات طويلة.

ويشير تقرير الجنرال انطونيو تاجوبا الذي قدم فيه نتائج التحقيق في معتقل ابو غريب الى ان الاعتداءات على الموقوفين شملت من بين عشرات الافعال الوحشية التصوير الفوتوغرافي وبالفيديو لشخص عاري ومعتقلة. كما التقطت الصور لحارس يمارس الجنس مع موقوفة (لاحظوا استخدام صفة يمارس الجنس مما يعطي الانطباع بان العملية تمت برضا المعتقلة). واستنادا الى تحقيق الصحافي المستقل سيمور هرش المنشور في النيويوركر فان اغتصاب المعتقلات في سجن ابو غريب كان قد حدث بشكل متكرر الا ان الصور لم تنشر.

وبينما تعتبر منظمة العفو الدولية نظام الاعتقال الأمني وما تلاه من تعذيب ومعاملة وحشية للمعتقلين، قبل تسليم السيادة للعراقيين حسب تعبيرها جريمة حرب، فانها صنفت النظام الذي تطبقه (القوة المتعددة الجنسيات)، بعد تسليم السيادة، تعسفياً، إذ انه ينتهك حقوق الإنسان الأساسية والقوانين الانسانية الدولية، وتتحمل (القوات متعددة الجنسية) بقيادة امريكا مسؤولية مباشرة عنها، وبضمنها التي ترتكبها قوات الأمن العراقية بصورة متزايدة.

حيث قامت قوات لواء الذئب التابعة لوزارة الداخلية باعتقال خالدة زكي، وهي سيدة متزوجة بالغة من العمر 46 عاما، من مدينة الموصل، وتم عرضها على شاشة قناة العراقية الرسمية، زاعمة أنها كانت تساند جماعة مسلحة. بيد أنها سحبت اعترافها فيما بعد متحدثة عن كيفية ارغامها على الإدلاء بهذا الاعتراف، حيث قام اعضاء من لواء الذئب بجلدها وتهديدها بالاغتصاب. والمعروف ان لواء الذئب أسس في تشرين الأول (اكتوبر) 2004، وتلقى تدريبا لمدة شهرين على أيدي مدربين عسكريين أمريكيين قبل نشره في عمليات أمنية ضد ما يسمى بالجماعات المسلحة. واشتهر اللواء بالاعتقالات السرية وممارسة التعذيب وسوء المعاملة على نطاق واسع، وفي هذا الصدد، يبدو أن « القوة المتعددة الجنسيات مهملة بشكل خطير أو أنها متواطئة فعلياً في الانتهاكات التي ترتكبها قوات الحكومة العراقية»، حسب تقرير منظمة العفو المعنون «انتهاكات حقوق الانسان في العراق، ما بعد ابو غريب».

وتتمتع قوات الاحتلال بالحصانة من المقاضاة بموجب القانون الجنائي والقانون المدني العراقيين، كما ينص قرار مجلس الأمن الدولي 1546 (2004) مع الرسائل المتبادلة المرفقة به بين السلطات العراقية والأمريكية، كما ان توصيات هيئة مجلس المراجعة والإفراج المشترك وان ضمت ممثلين عن وزارات العدل والداخلية وحقوق الإنسان العراقية ليست ملزمة. وإن نائب الجنرال الآمر للقوة المتعددة الجنسيات لشؤون عمليات المعتقلين هو الذي يقرر ما إذا كان المعتقل يجب أن يُفرج عنه أم لا.

وقد صرحت السلطات البريطانية بانه واعتباراً من تشرين الأول (اكتوبر) 2005، لم تكن سلطات المملكة المتحدة تحتجز أية نساء أو أطفالا رهن الاعتقال. مما يدل على انها كانت تحتجز نساء واطفالا قبل ذلك التاريخ وهو تصريح يتناقض مع تصريحاتها السابقة النافية، ايضا، لوجود المعتقلات. ويتناقض ايضا مع تصريحات اللواء منتظر السامرائي المشرف السابق للقوات الخاصة العراقية في مقابلة مع وكالة الانباء الفرنسية في شهر كانون الاول (ديسمبر) 2006، حيث كشف عن وجود تسعة مراكز اعتقال سرية حدد ثلاثة منها ببغداد اضافة الى معتقل الجادرية ببغداد، ووجود سجون للنساء ببغداد في أحياء الكاظمية والرشاد حيث تتعرض فيها السجينات للتعذيب والاغتصاب.

وعلى الرغم من كثرة التطبيل والتزمير وصرف ملايين الدولارات لايفاد مستخدمي الاحتلال الى خارج العراق لحضور الدورات لتدريبهم على احترام حقوق الانسان ، وعلى الرغم من كثرة الحوادث التي مارست فيها قوات الأمن التعذيب أو سوء المعاملة، لم تُجر السلطات العراقية أي تحقيق بشأنها. ولم نسمع عن تقديم مرتكبي التعذيب أو سوء المعاملة إلى العدالة. وتشير وزارة الخارجية الأمريكية إلى حالة واحدة لمقاضاة أفراد الشرطة في بغداد الذين اتُّهموا باغتصاب المعتقلات وتعذيبهن بصورة منهجية، حسب وزارة الخارجية الأمريكية، تقارير قطرية حول ممارسات حقوق الإنسان، العراق، 28 شباط (فبراير) 2005.

ان المرأة المعتقلة، في العراق المحتل، حالها حال الرجل والطفل، ضحية نظام تعسفي وانتهاكات منهجية لحقوق الانسان، تهدد حريتها وكرامتها ووجودها، من قبل السلطات المحلية والاجنبية معا.

لذلك لن يكون حادث اعتقال الطبيبة سناء البدري هو الاخير، ما دام العراق محتلا من قبل قوات سنت قوانينا تحميها بشكل مطلق بينما تعامل المواطن بدونية وازدراء وتسرق ثرواته وتحرمه من حقوقه التي يكفلها القانون والمعايير الدولية لحقوق الإنسان، ويتم ذلك كله بموافقة سلطات عراقية تدعي السيادة والاستقلال بينما تستعطف قوات الاحتلال بالبقاء لحمايتها.

* كاتبة من العراق

عصر ما بعد غالبريث

د. عبد الوهاب الافندي

(1)

في عام 1977 بدأت القناة الثانية في تلفزيون البي بي سي» عرض البرنامج الوثائقي «عصر زوال اليقين» لمقدمه جون كينيث غالبريث. كنا في ذلك الوقت نقيم في مساكن للطلاب ملحقة بمطار مدينة كارلايل في شمال غرب انكلترا حيث كنا نتلقى دروس الطيران. وكانت هناك مشكلة صغيرة هو أنه كان لدينا في النزل جهاز تلفزيون واحد، وكان بقية الاخوة كلهم يفضلون مشاهدة برامج ترفيهية أخرى. ولم يكن هناك حل سوى الذهاب الى البار الملحق بالمطار، حيث كان صاحبه يملك جهاز تلفزيون صغيرا يسمح لي بمتابعة البرنامج عليه في المنطقة الخلفية من البار، وهو أمر حرصت عليه بشدة حتى انتهت الحلقات.

(2)

كان ذلك أول عهدي بأعمال غالبريث، وكان الأمر يستحق كل ذلك العناء، لأن الرجل قد لخص في تلك الحلقات بأسلوبه الجذاب تاريخ الفكر الاقتصادي الحديث وقدمه في قالب يسهل على غير المتخصصين من أمثالنا الالمام بكل ما يحتاج المرء الى معرفته. ومنذ ذلك الوقت حرصت على متابعة أعمال غالبريث الذي كان بحق واحداً من آخر المفكرين العظام في العصر الحديث، رغم أنه لم يفز بجائزة نوبل أو ما شابهها، ربما لأن زملاءه من الاقتصاديين لم يكونوا راضين عن كتاباته الموجهة الى عموم الجمهور.

(3)

غالبريث الذي رحل هذا الأسبوع عن عمر مديد قارب المائة عام (97 عاماً بالتحديد) يعتبر شخصية فريدة، جمع بين التميز الأكاديمي والعمل العام. ولد في كندا واكتسب الجنسية الأمريكية عام 1937، ثم ما لبث أن أصبح في بداية الحرب العالمية الثانية المسؤول عن سياسية تحديد الأجور والأسعار في الولايات المتحدة قبل أن يتولى مسؤولية تحديد حجم الأضرار التي كان القصف الأمريكي يسببها للاقتصاد الألماني (خلص الى أن القصف كان يكلف أمريكا اقتصادياً أكثر مما كان يكلف ألمانيا!). وفي عصر الرئيس جون كينيدي عين سفيراً للولايات المتحدة في الهند. ولكنه قضى معظم عمره أستاذاً للاقتصاد بجامعة هارفارد.

(4)

ولعل غالبريث الذي تخرج في كلية الزراعة في أونتاريو في موطنه الأصلي كندا قبل أن يحصل على دكتوراه في الاقتصاد من جامعة كاليفورنيا في بيركلي هو آخر الاقتصاديين «الليبراليين» العظام. فقد اشتهر بنقده الحاد للمقولات السائدة في الفكر الرأسمالي الحديث، مثل الزعم بأن التنافس الحر بين الشركات والمؤسسات هو الذي يحدد الأسعار، أو مقولة أن المستهلك هو صاحب السيادة في النظام الرأسمالي، حيث فند كل هذه المقولات وأثبت عدم صحتها. وقد انتقد في أشهر كتبه «مجتمع الرفاه»، 1958، رفاهية القلة وسط فقر الأغلبية واهمال البيئة والبنية التحتية في أمريكا والمجتمعات الصناعية.

(5)

كان غالبريث أيضاً من أشرس منتقدي مقولات الاقتصاديين «النقديين» الجدد وعلى رأسهم مدرسة شيكاغو وزعيمها ميلتون فريدمان، وهي السياسة التي طبقها رونالد ريغان وسار على نهجه فيها كل من بوش الأب وبوش الابن. وقد جادل غالبريث بخطل مقولة أن تخفيض العبء الضريبي على الأغنياء وتخفيض الانفاق الحكومي هما السبيل لتحسين الاقتصاد، قائلاً بأن من المدهش القول بأن الأغنياء لا يجتهدون في عملهم لأنهم يشكون من نقص الأموال، بينما الفقراء لا يعملون لأنهم يشكون من كثرتها!

(6)

حجج غالبريث يبدو أنها منطقية، ولكن الواقع صدق مقولات النقديين والليبراليين الجدد، في المدى القريب على الأقل، حيث حققت السياسات الريغانية والثاتشرين الداعية الى العودة الى الرأسمالية المتوحشة نجاحاً مذهلاً دفع حتى بالاشتراكيين الى تبنيها. اننا على ما يبدو لا نعيش في عصر ما بعد غالبريث فقط مرحلة انعدام اليقين، بل مرحلة غياب المنطق أيضاً.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 Fax: 5337928
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364